المهيمن الذكوري في الخطاب الروائي عند محمد شكري

روايتا الخبز الحافي وزمن الأخطاء أنموذجين

م.د. عبد الأمير عباس بطي

جامعة القادسية/ كلية التربية

abdulameer.a.baty@qu.edu.iq

خلاصة البحث

يتخذ المهيمن الذكوري أشكالا مختلفة من التعبير، تكشف عن سلطته المطلقة من خلال هيمنته الاجتماعية والثقافية واللغوية الكاشفة عن نفسها بوساطة العلاقة مع الأنثى؛ إذ تظهر الأنثى في الخطاب الذكوري موضوعا من موضوعاته الحياتية، وترتبط، عادة، بالعلاقة الشبقية التي جعلت منها أداة للذة، ووسيلة من وسائل التعبير عن قدرة الذكر الجنسية.

لعل من يقرأ روايتي السيرة الذاتية لمحمد شكري يجد مصداق هذه الهيمنة واضحة؛ إذ يكشف الروائي في روايتيه علاقة الرجل بالمرأة في أحد المجتمعات العربية في الحقبة الحديثة. وترتبط هذه العلاقة بمسيرة الفقر التي كان يعيشها ذلك المجتمع الذي أدى إلى توزيع سوق العمل بين الجنسين، فأصبح الذكر متسولا أو سارقا أو مهربا، فيما استثمرت المرأة جسدها في سوق المتعة؛ لكسب قوت يومها.

Abstract

The dominant male takes different forms of expression, revealing his absolute power through his social, cultural, and linguistic dominance, which reveals itself through his relationship with the female. The female appears in male discourse as one of his life topics. She is usually linked to the erotic relationship that has made her an instrument of pleasure and a means of expressing the male's sexual ability.

Perhaps whoever reads the two autobiographical novels by Muhammad Shukri will find the evidence of this hegemony clear. In his two books, the novelist reveals the relationship between men and women in an Arab society in the modern era. This relationship is linked to the poverty experienced by that society, which led to the distribution of the labor market between the sexes, so

the male became a beggar, a thief, or a smuggler, while the woman invested her body in the pleasure market. To earn her living.

توطئة

لعل العنوان الأظهر في خطاب الذكورة المعاصرة هو الاحتكار، أي احتكار الحقيقة المطلقة التي تنظم عمل المجتمع الإنساني، متناسيا، عن عمد، دور المرأة التي رضخت، في أحيان كثيرة، لهذا الخطاب. إن" سيادة خطاب الرجل أوقع المرأة في فخ حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام بتشكيل الواقع وفق تصوراته، فوزع الأدوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء التقسيمات، واختيار المعاني بعد ذلك قام بالمصادقة عليها، ولم يكن للمرأة في هذا سوى الرضوخ، والرضا"[١]. لقد أرست هذه الثقافات الذكورية موقعا للمرأة، وحبستها داخل سياق الأنوثة الذي ظل عاجزا عن ابتكار مكانة للمرأة خارج ذلك السياق؛ لأنه سياق سيطرت عليه القيم الحسية متمثلة بما في الجسد المؤنث من شواخص حسية.[٢]

لقد ظلت مقولة المرأة/ الجسد مسيطرة على خطاب الذكورة. وفرضت الجبرية البيولوجية، بما هي جنوسة، مسوغا لغياب المرأة عن الفعل والتأثير الثقافي؛[٣] لذا، لابد من فعل مناهض يعيد للمرأة مكانتها التي فقدتها بسبب معادلة المرأة/ الجسد، وذلك باستبعاد الطبيعة الفسلجية والبيولوجية في خطاب المرأة، والتركيز على الإطار الاجتماعي، بوصفه المحدد لهويتها، وقد اصبحت مقولة سيمون دو بوفار "لا يولد المرء امرأة: إنه يصبح كذلك".[٤] شعارا للحركة النسوية التي تنادي بالمساواة بين الجنسين، وعدم الانشغال بقضايا الفطرة والطبيعة التي لا تكون فاعلة في الايديولوجيا النسوية.[٥]

لا يمكن توصيف الفعل الاجتماعي إلا بوجود فاعل؛ فالمناداة بالمساواة في الحركات النسوية المعاصرة، تقتضي أن تكون المرأة فاعلا لفعل اجتماعي مشابه لفعل الرجل الذي استبعد المرأة من الفاعلية الاجتماعية؛ إنه، غالبا، فعل اجتماعي مشابه لفعل الرجل، فمفهوم الحرية يعني التحرر من سلطة الرجل، والانعتاق من هذه السلطة لم يكن يوجد لولا وجود الفاعل الذكر؛ لأنه هو المؤسس للفعل، وقد نتج عن هذه المقولة التي تنادي بتذكير الانثى اجتماعيا، أن استبعدت الطبيعة الفسلجية والبيولوجية للمرأة؛ ممّا مهّد لظهور نظرية النوع الاجتماعي (الجندر).

ليس من هواجس هذه الدراسة الانسياق مع التيارات الفكرية المناهضة لسلطة الذكر، ولا من هواجسها الانشغال بممارسة نوع من الجدل مع تلك التيارات المتصارعة، بل جلّ ما تركز عليه هذه الدراسة هو تمظهرات الثقافة الذكورية في الانتاج الادبي، جاعلة من روايتي السيرة الذاتية الخبز الحافي،

وزمن الأخطاء أنموذجين يفصحان عن تلك الثقافة، ليس بوصفهما فقط مساندين لها، بل يظهر، أحيانا، بهاتين الروايتين نوع من الثورة على سلطة الذكورة، ولكنها ثورة داخل الدائرة الذكورية، فلا تنفك منها لتصبح ثورة تنادي بالمساواة بين الجنسين؛ إنها ثورة على سلطة غاشمة تحاول أن تسلب الراوي ذكوريته المتحررة من كل سلطة أبوية (بطريركية)، تلك السلطة التي تحرِّم الحديث عن الجنس؛[٦] "لأن الجنس موضوع مقدس يرتبط بالعرض والشرف، وكل مقدس فيه مباحات ومحرمات... ولارتباط الجنسي بالمقدس، واجهت الكتابة والحديث عنه وعن المرأة منعا وتحريما ومصادرة على طول التاريخ".[٧] وما حضور المرأة في المشهد الروائي عند شكري إلا ملمح من ملامح الثورة على سلطة الأب الغاشمة، وترسيخ لوجوده بوصفه ذكرا فاعلا بإزاء الأنثى، التي تظهر في روايتيه مفعولا وليس فاعلا مؤثرا في الحدث؛ لأن حضور الفاعل الذكوري أطرها بغياب ثقافي جعل جلّ الأحداث التي تظهر فيها الأنثى مرتبطة بالحضور البيولوجي، بما هي أداة تفريغ شبقي ميدانها الداخل (الدار/ الماخور) وليس الخارج.[٨]

النظام الأبوي (البطريركي):

لا تظهر العلاقات الاجتماعية القائمة على الهيمنة والاستغلال إلا من خلال التقسيمات المكوّنة للنظام الاجتماعي؛ فهي تندرج في طبقتين مختلفتين من السجايا القارة في الذهن (الهابيتوس)، التي تتشكّل من تكوين جسدي متناقض ومتكامل، أي أنها تختزل كلّ أشياء العالم، وكل الممارسات إلى شكل من أشكال التعارض بين المذكر والمؤنث.[٩] وبهذا التصوّر تكوّنت الحضارات على مرّ التاريخ؛ فلابد من وجود عنصر مهيمن، ولابد من رضوخ الآخر لسلطة ذلك المهيمن فيكون تابعا له ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا؛ إذ تكون التبعية الوسيلة التي تبقي على المهيمن مسيطرا. وأي انقلاب في هذه التبعية تحتّم الانتقال من هيمنة نوع،[١٠] إلى هيمنة نوع آخر، وهذا ما يُرصد في تاريخ الحضارات الإنسانية.

يرى المؤرخون وعلماء الأنثروبولوجيا أن المجتمعات الإنسانية تصنف بحسب طبيعتها الاقتصادية، فينال النوع الإنساني مكانته استجابة لتلك الطبيعة؛ إذ تعتمد المجتمعات القائمة على النظام الأبوي (البطريركي) على الصيد، فهي مجتمعات عشائرية رعوية، في حين تتخذ بعض المجتمعات نظاما مختلطا من الانتساب، وتظهر بعض المجتمعات الأخرى أمومية (متريركية)؛ لأنها تملك أراضي خصبة ومواشي.[١١]

إن تفسير المهيمن على وفق النظام الاقتصادي مبدأ اعتمده الأنثروبولوجيون في دراستهم الأقوام التي عاشت في العصور القديمة، فسيادة المرأة، بعد اكتشافها الزراعة، له ما يسوغه؛ إذ إن "مبدأ الخصوبة في الارض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة"؛[١٢] وبهذا أصبح التصور الديني عند الأقوام الزراعية مؤسس على الإله الأنثى التي اطلق عليها (الأم الكبرى) أو (سيدة الطبيعة)، فهي مصدر الحياة؛ لأنها أكثر التصاقا بالأرض التي تطعم الإنسان. وقد ظهرت هذه الإلهة في التماثيل التي صورت امرأة حبلى، أو عارية الصدر، أو تحمل قمحا، أو تركب ظهر حيوان مفترس.[١٣] وقد علل علماء الأنثروبولوجيا ديمومة تلك السلطة لانعدام التنظيم القائم على الزواج؛ فالنظام الأمومي يعيش نوعا من الإباحية الجنسية التي تجعل الابن ينسب إلى أمه لا إلى أبيه؛ وبذلك تكون السلطة المركزية للأنثى.[١٤]

وقد حتّم تطور المجتمع إيجاد نوع من التنظيم والاستقرار وتكوين الأسرة. وقد بدأ، هنا، ظهور سلطة الذكر، وتراجع سلطة الأنثى، فبدأ، أولا، في التصور الأسطوري، انقسام الآلهة، فعشتار آلهة الطبيعة قد انقسمت على عشتار آلهة الطبيعة البكر، وعشتار آلهة الزراعة والاستقرار والتمدن؛ فبدأت سلطتها تتزعزع، وتنتقل شيئا فشيئا للرجل، معلنة، بذلك، انتهاء سيادة النظام الامومي،[١٥] وبداية عصر النظام الأبوي.

لقد كان النظام الأبوي نظاما صارما قائما على السيادة المطلقة في الأسرة، وانتقال الانتساب من الأم إلى الأب، وظهور الإله القوي المسيطر الذي يخافه الإنسان. وبظهور هذا النظام بدأت المحرمات، وتراجعت الأنثى لتصبح تابعة للذكر، تاركة الميدان له لتقبع في دارها. إن هذا النظام نظام سلطوي اجتماعيا وثقافيا ولغويا، يمثل فيه الأب أداة القمع الرئيسة التي تقوم على العقاب لتبقي العلاقة بينه وبين أفراد أسرته علاقة ولاء وخضوع.[١٦]

لعل أوضح صراع داخل النظام الأبوي يكون بين الذكور أنفسهم؛ فثمة أب، وثمة أبناء يحاولون الانعتاق من سلطة الأب الغاشمة، بما فيها من خطاب أحادي يأمر الآخرين بالصمت والإصغاء لما يقوله الاب.[١٧] هكذا يُرصد صوت الاب (صوت السلطة) عند محمد شكري الذي يتحول، بإزائه، كل شخص إلى مستمع لا يبدي اعتراضه إلا عن طريق الصمت أو الهمهمة؛ [١٨]فالطاعة، هنا، ليس باستسلام الابن لأبيه طاعة له، كما هي عند الأنثى، بل بسبب عوامل القوة التي يملكها الأب، مما يبقي ثورة الابن ثورة مؤجلة إلى حين التمكّن من امتلاك عناصر قوة يتفوق بها على أبيه. وطوال هذه المدة

تبقى الطاعة سمة الابن التي يذكره فيها ابوه: "أنا أبوك. إذا كان هناك من يجب أن تطيعه فهو أنا. لا أحد إلا أنا. الطاعة لي وحدي ما دمت حيا".[١٩]

تظهر عقدة الأب عند شكري، لأنه سلطة تكبح جماح ذكورته؛ ولهذا يشبه أباه بالحيوان،[٢٠] ويلعن كل أب إن كان مثل أبيه.[٢١] إنه الوحيد الذي يحتكر العنف في الدار، كأنه الإله "عندما يدخل لا حركة، لا كلمة الا بأذنه كما هو كل شيء لا يحدث الا بإذن الله كما سمعت الناس يقولون".[٢٢]

لقد ظهر الأب في سرد شكري حاقدا على كلّ الناس، فهو لا يحب حتى نفسه،[٢٣] ولأنه كثير الضرب لأمه؛ يقف شكري ليتساءل "لماذا ليست قويه مثله؟ الرجال يضربون النساء وهن يبكين ويصرخن".[٢٤] وهنا يُلمح إدراك شكري للذكورة بأظهر صفاتها وهي أنها تحتكر العنف وتمارسه متى شاءت، وفي الوقت نفسه ينال الذكر/ الأب جائزته من المرأة التي يضربها في الليل،[٢٥] فكراهته لأبيه لا تحتّم عليه ترك ثقافة العنف؛ لأنها ثقافة قائمة على الجائزة، وها هو يعيش حلم السلطة الأبوية ويمارسها مع الانثى كأنها لعبة، فيسرّ في نفسه أمنيه يقول فيها: "عندما أكبر ستكون لي امرأة. سأخاصمها في النهار بالضرب والشتم وأصالحها في الليل بالعري والعناق. إنها لعبة جميلة ومسلية بين الرجل والمرأة".[٢٦] وبمحاكاته أباه يعيد إنتاج سلطة أبوية أخرى، تتخذ الصفات نفسها، وتختلف بشخوصها، فهو هنا يمارس فعل الإزاحة لأبيه ليحل مكانه.

يرتبط انفراط سلطة الأب بالعامل الاقتصادي؛ فكلما تقهقرت العلاقة التقليدية الرئيسة القائمة على الاعتماد اقتصاديا على الأب، تضعضعت مكانته في الأسرة.[٢٧] وقد ظهر هذا واضحا في رواية الخبز الحافي؛ فالأب هنا يملك عناصر القوى القاهرة التي يرزخ تحتها أفراد الأسرة، غير أن خروج أم البطل للعمل في بيع الخضار، لإعالة أسرتها، مثل نوعا من جلد السلطة الأبوية التي لا تتناغم وطبيعتها المسؤولة؛ فالمرأة في تلك السلطة خاضعة للذكر، والذكر مسؤول عن معيشتها، بما يوفره من خدمة اقتصادية للأسرة، تسوّغ بقاء سلطته. وكل تنازل عن معيشة الأسرة والإبقاء على السلطة يولّد نوعا من الثورة. إن قيام أم شكري بدور الأب مهّد للثورة على سلطته من أبنائه، فهو ليس شجاعا إلا في حربه معهم وقد فقد هذه الشجاعة، وبدأ ينهزم عندما كبروا.[٢٨] ويصوّر شكري تلك الهزيمة وضعف أبيه عندما واجهه بعد أن ضرب أمه فيقول: "عندما جئت أمسكت مدقة الهاون وهددته بتهشيم رأسه إن هو عاد إلى جنونه معها. خرج إلى دار جارنا وانخرط في نوبة البكاء وهو يردّد: المسخوط يهددني بالقتل. يهددني

بالمهراس. لو خنقته وهو صغير لتخلصت منه"؛[٢٩] وبذلك يختم شكري روايتيه، المرتبتين زمنيا، بأفول سلطة أبيه، معلنا عن سلطته الغاشمة التي تتسلح بثقافة الذكورة ذاتها بكل ما تحمله من شبق جنسي، وسلطة قاهرة.

ذكورة اللغة

ليست اللغة وسيطا تواصليا محايدا، فهي مكون ثقافي، ووعاء للتفكير لا يمكن للمتكلم الفكاك منه. ولأن العربية لغة حسية صحراوية؛ فقد ظهر المهيمن الذكوري فيها وأعلن عن نفسه مركزا متكلما، جاعلا ممن يخالفه، جنسيا، موضوعا للغته "أو أداة من أدوات البلاغة ومجازاتها ورموزها التعبيرية والدلالية"؛[٣٠] وهكذا أفصحت العربية عن الثقافة الذكورية،[٣١] التي لم تستطع تجاوزها، ولا الخروج على الحدود المرسومة لها.[٣٢] ويمكن رصد ذلك عند شكري، فالمرأة في روايتيه لا تظهر إلا موضوعا لحديث الذكور، أو لتأملاته وأحلامه. ولا تظهر محاورة إلا لما يقتضيه السرد القصصي من مشاركة المرأة في الحدث الروائي.

يرصد المتأمل للعربية جنوسة هذه اللغة في الاستعمال؛ فكل الأشياء التي تعبر عنها لا تخرج عن حدود الذكورة والأنوثة. ويمكن الاستدلال بالضمائر وأسماء الإشارة في العربية، فكل هذه الأدوات لها حد جنسي تستعمل فيه، وبسبب من انتفاء الحياد، وانعدام الحديث على المجرد في العربية، الخارج عن الثنائية المتعارضة (ذكر/ انثى) لفظا، استعان المتكلّم باللغة الشارحة النافية لجنس المجرد؛ ويظهر هذا واضحا عند أصحاب التنزيه الذين استعانوا بقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}،[٣٣] لتجريد الإله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات، وذلك بنفي الشيئية في الثقافة العربية عنه، وهي شيئية لا تخرج عن حدود الجنس.

١- الاصالة والتغليب

يؤكد سيبويه أصالة المذكر بقوله: "واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول، وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير".[٣٤] وتظهر مركزية الثقافة الذكورية في الحمل على المذكر إن انتفت قرينة المؤنث. قال سيبويه: "ولو لم نجد.. ما يؤكد التذكير لكان حمله على التذكير اولى حتى يتبين لك أنه مؤنث".[٣٥] ويرى النحويون أن الدليل على كون المذكر أصلا أن المؤنث لا يمكن، في معظم اللغة، الدلالة عليه إلا بلاحقة إضافية، وندرة العكس؛[٣٦] وهذا ما يجعل من المؤنث فرعا؛ لأن به حاجة للمذكر وزيادة للدلالة عليه.

ولأن المذكر هو الأصل، فإن كل تنازع بينه وبين المؤنث ينتهي بإعلان اللغة عن غلبة المذكر؛ " تقول من ذلك: الرجل والمرأة قاما وقعدا وجلسا، ولا يجوز: قامتا وقعدتا؛ لأن المذكر يغلب المؤنث؛ لأنه هو الأصل والمؤنث مزيد عليه".[٣٧] ولا تعد غلبة التأنيث على التذكير إلا مخالفة للمعروف والمشهور، وهو نادر الحدوث.[٣٨]

ولا يخالف شكري الثقافة العربية القائمة على مركزية الذكورة؛ ففي التغليب يستعمل الشائع عند العرب، بتغليب الأب على الأم في كل حديث عنهما مجموعين، إذ يقول: "يمضي أحيانا، أكثر من أسبوع لا أزور خلاله أبويّ".[٣٩] وكذلك يذكر في موضع آخر أباه وأمه بقوله: "كنا ننام، أخوتي وأنا، في حجرة، وفي الأخرى أبواي".[٤٠] وفي هذا النص تُرصد صيغتين من صيغ التغليب في قوله: أخوتي للدلالة على نفسه وأخوته الذكور والإناث، وفي حديثه عن أبيه وأمه.

٢- الفحولة

ثمة حدود اجتماعية رسّختها المؤسسة الذكورية للتفريق بين الذكر والأنثى. ومن طرائق التفريق الاستعمال الخاص للغة؛ فقد "لاحظ العلماء منذ قرون عدة وجود اختلافات بين الرجال والنساء في استخدام الألفاظ والتعبيرات، ممّا سمح لهم أن يطلقوا على بعضها أنه من الفاظ الرجال، أو من الفاظ النساء".[٤١] وقد استنكرت الثقافة الذكورية تقليد الرجل كلام النساء؛ إذ يستهجنون هذا الفعل، ويصمون صاحبه بالتخنث والتكسر والميوعة.[٤٢] وقد استنكر العلماء ذكر كلام النساء في الشعر، فالباقلاني يستنكر هذا على امرئ القيس عندما يذكر في شعره كلام النساء، قال: "وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت: فقالت لك الويلات انك مرجلي، كلام مؤنث من كلام النساء، نقله من جهته الى شعره".[٤٣] ومثل ذلك فعل الأعشى عندما ذكر كلام هريرة "ويلي عليك وويلي منك يا رجل".[٤٤] وربما كان تخنث الأعشى في الشعر من الاسباب التي جعلت الأصمعي يستبعده من الفحولة.[٤٥]

إن الحدث الجنسي، والحوار فيه يقتضي من الراوي أن يخالف شروط الفحولة؛ لأن الحوار مع المرأة يقتضي أن يُذكر كلام النساء في الرواية، فحوارية الحدث تمكّن الراوي من تأنيث القول. وهذا ما نجده عند شكري، ولاسيما في الحوار الشبقي بين المرأة والرجل لحظة ممارسة الفعل الجنسي، إذ يؤطر الحوار بكلام مخصوص بالنساء مثل: " كلا. كلا. تؤلمني"،[٤٦] او " آي آي آي! ليس هكذا"،[٤٧] في أثناء الفعل الجنسي. إن ذكر كلام النساء، هنا، جاء معضدا لفحولة الذكر لاسيما أنه حديث يختص بفعل الذكر

القادر على الإيذاء، وهذا مظهر من مظاهر الفحولة؛ لأنه يشير إلى احتكار العنف عند الذكر في أثناء الفعل الجنسي.

الجسد الأنثوي: الاختزال الشبقي

بالعود الى ذكورية اللغة، لا ترصد المرأة فيها إلا موضوعا يتخذ من أظهر ما تنماز به المرأة وسيلة للحديث وهو الجسد؛ فجسد المرأة ليس ملكا لها، بل هو ملك الذكر، وهو موضوع لغته التي، من خلالها، يحدد الصفات المحمودة فيه، بحسب ثقافة كلّ تكوين اجتماعي. وهي صفات لا تخرج عن الدلالة الشبقية التي أبقت الانثى "نصا شهوانيا تتمتع به حواس الذكر وتلتهمه".[٤٨] بل إن الجاحظ، في رسائله، يتكلم على محاسن الجسد الأنثوي، ويرد هذه المحاسن إلى أولي الالباب وأهل البصيرة من حكماء الرجال.[٤٩] وهذه الصفات التي ينقشها الرجل في لغته، تجعل من جسد الأنثى "صفحة بيضاء قابلة لأن تكتب عليها الثقافة ما تشاء".[٥٠]بل هي قادرة على شطب ما تكتب، وتغييره بحسب التطور الاجتماعي، والاختلاف الثقافي؛ وعلى وفق ذلك، تعيش الأنثى نوعا من التبعية بإزاء الثقافة القاهرة للمهيمن الذكوري الذي يستعين برصيده اللغوي الثرّ لإيقاد الحالة الشبقية في الجسد الأنثوي؛ وهذا ما يجعل الأنثى في علاقة تبعية مع الذكر، لتصبح هذه العلاقة المكون الرئيس لكيان الأنثى الاجتماعي.[٥١]

لا تُبنى الدلالة الشبقية على المشتركات الخلقية، إن استثني ما يدخل من الأعضاء عند الأنثى، وليس الرجل، في الدلالة الشبقية؛ فهذه الأعضاء المشتركة يجب أن تحذف، ليظهر من الأعضاء ما يمثل تلك الدلالة عند المهيمن الذكوري. وهذا لا يحدث إلا عن طريق الاختزال، وتعزيز قيم التأنيث لما تبقى من الجسد: الجسد المنقى الذي يتصف بالكمال الأنثوي.[٥٢]

يظهر فعل الاختزال اللغوي واضحا عند شكري، فهو حينما يتحدث عن معشوقته في دار البغاء، لا يتحدث عن ذات متكاملة، بل يختزل الأنثى بما يعشقه فيها جنسيا. وربما تختزل الأنثى إلى الحد الذي تصبح فيه مؤخرة فقط، تنطبع في ذاكرة الراوي الذي يستحضرها وسيلة لفعل الاستمناء الذكوري.[٥٣] كذلك يظهر فعل الإدراك الظاهراتي عند شكري حينما يركز على المختلف في جسد الأنثى الذي يتضح اختلافه من موازنته بأجساد النساء الأخريات، وهذا ما يستحضره عندما يتحدث عن جسد أسية إذ يقول: "إذا اجسام النساء ليست مثل جسم أسية فإن جسم المرأة بشع، بشع، بشع".[٥٤]

ويخالف شكري فعل الاختزال الذكوري عندما يتكلم على الدنس الإنساني في الأنثى. ويمكن رصد هذا التصور في حديثه عن مونيك، تلك الفتاة الجميلة التي عكّر خياله عندما تلصص عليها في الحمام، فلم يجدها الأنثى المثال، فصرح بإنسانيتها، وبصفاتها المدنسة عندما قال: "مونيك تبول، مونيك تخرأ، ليتها لا تبول ولا تخرأ... مونيك الجميلة تنزف دما! شيء مقرف إذ كن ينزفن دما".[٥٥] فهذه الأفعال، في التصور الذكوري القائم على الاختزال ونشدان الكمال الأنثوي، تقتل شبقه؛ إذ تظل الذكورة في حالاتها الأكثر استقامة تنشد الطهر في الأنثى؛ فهذا الطهر يحفز الشهوة. وشهوة الذكر في الأنثى تبدأ عند شكري بخيالات تحفزه على التفريغ (تفريغ الشهوة). ولكن المقابل (الأنثى) تمارس التفريغ المدنس الطارد للشهوة، ولإقدام الذكر الشبقي، وذلك عن طريق التبول رفضا للممارسة الجنسية.[٥٦] لقد ظل الطهر في الخيال الذكوري محفزا على كمال الأنثى المنشود؛ لذلك نجد في الأدبيات الدينية وصفا لحور العين يجعلهن طاهرات من كل دنس،[٥٧] يقتل الحالة الشبقية عند الذكور.

إن اللحظة الشبقية عند الذكر هي لحظة استحواذ مطلق؛ لأن فعل الاختزال الذكوري يجعل من الجسد المختزل موضوعا قابلا للاحتواء؛ وبسبب من هذا، يختلف التصور الذكوري للفعل الجنسي؛ "لأن الفعل الجنسي.. ينظر إليه الرجال على أنه شكل من أشكال الهيمنة والاستيلاء والتملك"؛[٥٨] مما يجعل من الأنثى وسيلة لممارسة الاستمتاع، والقدرة على الإمتاع، فمن مفردات الهيمنة الذكورية، والاستحواذ المطلق، أن يكون الذكر قادرا على الإمتاع؛ [٥٩]وهذا ما يحفز الذكر على تكرار هذا الفعل، وفي الوقت ذاته، يجعل من كل أنثى تثير شبقه مشروعا للاستمتاع والإمتاع، فلا يمكن للشبقية أن تتخذ مع الأنثى مسارات اجتماعية لا يكون الفعل الجنسي جزءا منها، وهذا ما يرصد عند شكري؛ إذ تدفعه الشبقية، والشعور الطاغي بالهيمنة الذكورية إلى افتراس الأنثى. يذكر أنه تشارك وصاحبه حميد المنام مع فتاة تعرف حميد عليها، فهي "ربما لا تريد منا غير صداقتنا! لكننا لم نكن نعرف صداقة الرجل للمرأة دون جنس. إنها أنثى ونحن ذكران نفترس أنوثتها".[٦٠]

وبتطور الفعل الجنسي عند الذكر، ينتقل شكري من المرأة الوثن إلى مشاركة اللذة مع أنثى حقيقية تملك كل مفردات اللذة العالقة في ذاكرته الذكورية، فقد بدأ بفعل الاستمناء، وهو فعل تفريغ شهواني، ثم انتقل إلى فعل (خلق) عندما جعل من الشجرة وثنا للتفريغ الشهواني، فجسد فيها بعض ما في جسد المرأة من مناطق تثير فيه الحالة الشبقية،[٦١] ثم انتقل إلى نوع من فلسفة الجنس التي مثلت لحظة

الحرمان عنده، وهذا ما وجده عند المغربيات في دور البغاء. يروي تجربته الأولى مع الأنثى التي عاش فيها حالة من الخذلان؛ لأنه لم يجد فيها ما انطبع في ذاكرته الشبقية من مفردات الفعل الجنسي، فضلا عن انتفاء فعل التمتع الإمتاع عند الأنثى في أثناء الفعل الجنسي، الذي مثل قتلا للهيمنة الذكورية عندما أصبحت الأنثى مسيطرة على الفعل الجنسي؛ فهي لا تعيش حالة التمتع والإمتاع باستبعادها بعض مضامين الفعل الجنسي؛[٦٢] وهذا ما جعله يقرر أن النعاس "مع امرأة بلا تقبيل الشفتين وضم النهدين ليس نعاسا كاملا".[٦٣] إنه، باستعارة شكري نفسه، الجنس الحافي. على حين أن تجربته مع الإسبانيات كانت تجربة منقوعة باللذة، إذ يقول: "تركتني أقبلها في فمها بلطف. فمها حلو وحار ورائحة عطر تبعث من خلف اذنيها"،[٦٤] وهي "أحسن من كل الأخريات. تعطي جسمها كله. نظيفة ومعطرة. وليست مستعجلة مثل الأخريات"[٦٥]. إن لحظة الجنس عند الذكر هي لحظة لذة مطلقة تجعل الأنثى أداة للتفريغ الشهواني؛ فلا يمكن للأنثى أن تعيش مع الذكر حالة إنسانية إن كانت تعمل في الإمتاع، فالفراش للفعل الجنسي فقط وليس للهموم والشكوى.[٦٦] الهموم تقتل الحالة الشبقية عند الرجل، وتعيد المرأة إلى الحالة الإنسانية؛ فيختفي فعل الاختزال الشبقي للجسد الأنثوي.

الأنثى: التنميط الذكوري

تفرض السياسة الناعمة للمجتمع نمطا من السلطة طرفاه الذكر والأنثى؛ إذ يرفد الذكر هذه البنية المجتمعية بالنظام غير المحسوس عن طريق هيمنته الثقافية، وقدراته الجسمانية التي تمكّنه من أن يكون الفاعل الرئيس. على حين أن الطرف الآخر، وهو الأنثى، تتخذ من تلك السمات الذكورية مسوغا لانكفائها الاجتماعي، وانسحابها إلى المنزل؛ فتتولد، لذلك، حالة من الخضوع الأنثوي التي تعزز سلطة المهيمن، فلا يزعزعها سوى ما تنادي به المرأة المعاصرة، في حركاتها الاجتماعية، من مساواة. إن حركة المرأة في الميدان النسوي تجد في مبدأ الهيمنة الذكوري، وسيطرة الذكر على توليد المفاهيم وترسيخها، سبيلا تسوّغ به حراكها الاجتماعي الموجه للمرأة نفسها؛ لتحريرها من حالة الخضوع المطلق، وإخراجها من الدار إلى المجتمع لكي تسهم في تأسيس المفاهيم الاجتماعية.

إن الكشف عن الحقبة التي عاشها شكري، تعزز فكرة الهيمنة الذكورية عن طريق ما يعرضه من حال المجتمع في تلك الحقبة، المجتمع الذي يبحث عن سبل العيش. وبتسارع الناس على قوتهم، فإن النظام الاجتماعي "يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها. إنها التقسيم الجنسي للعمل، والتوزيع الصارم جدا للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنسين،

لمكانه وزمنه وادواته"؛[٦٧] فالأنثى لها الدار، إذ لا تشكل في سوق العمل قوة رئيسة بل احتياطيا[٦٨] لا يعمل إلا في حالة غياب الذكر؛ هكذا تظهر أم شكري مضطرة لخوض عمل الرجال؛ لإعالة أبنائها بعد أن تخلى زوجها عن مسؤوليته، فالعمل "خارج البيت ضرورة لا اختيار".[٦٩] على حين أن عمل الذكور يجب أن يرسخ هويتهم القائمة على المغامرة والعنف أحيانا، فشكري عمل في مقهى، ومن ثم في السرقة، لكنه وجد نفسه عندما عُرض عليه العمل في التهريب، إذ رأى أن "مثل هذا العمل أفضل لي من التسول والسرقة... أفضل من أي عمل آخر كنت أقوم به من قبل. إنها مغامرة تجعلني أشعر برجولتي وأنا في السابعة عشر من عمري".[٧٠]

لقد فرضت هذه البنية المجتمعية القائمة على الهيمنة الذكورية، احتكار الذكر مهمة تأسيس المفاهيم والتصورات الاجتماعية؛ إذ إن صخب الرجال غطى على صوت المرأة، فلا يظهر صوتها إلا بوساطة الرجل وهي تظهر في روايتي شكري موضوعا لهما، وليست ذاتا. هي شخصية مساندة، ترفد الرواية بالحدث عن طريق الاشتراك فيه مع الرجل الذي يكون السارد المهيمن.

أوجد غياب الأنثى عن الفعل الاجتماعي نوعا من الفجوة التي قام الذكر بملئها؛ فانكفاء الأنثى في دارها، مهّد لفعل الذكر في تأسيس رؤية للمرأة راعى فيها مركزيته الاجتماعية والثقافية واللغوية، "ومن هنا فإن الرجل يكتب المرأة في لغته هو وليس في لغتها ويستنطقها حسب منطقه ويديرها حسب هواه فيها"؛[٧١] بهذه الصورة تُرصد المرأة عند شكري، فهو يكتب نوعا من السيرة الذاتية التي يكون فيها الذكر (هو) فاعلا، تطغى على موضوعاته الأنثى، ولا سيما في رواية الخبز الحافي، فهي سيرة تؤرخ لحقبة عاشها، وامتداد هذه الحقبة، وحركتها التاريخية تتأطر بشخوص جلّهم من النساء.

إن فعل الاختزال الذكوري، وطبيعة العمل الذي نهضت بأعبائه الأنثى، خلق لها صورة نمطية؛ فهي سلعة في سوق المتعة الذكوري، وليس المقصود هنا تسليع المرأة، على وفق مفهوم ما بعد الحداثة والعصر الحديث، من اعتماد الخطاب الإشهاري الذي يتخذ من جسد الانثى وسيلة للإعلام، بل بوصف الجسد أداة للمتعة يملك رأسماله الخاص، ويعرض في سوق الذكورة؛ لذلك يُلحظ أن شخوص روايته من الإناث، إن استثنيت بعض النساء، تعيش من جسدها، وتخضع لمعادلة العرض والطلب في سوق الفقر الذي عاشه الروائي؛ وهذا ما خلق صورة نمطية للأنثى، فهي جسد فقط يلبي رغبات الذكر الذي يطلبه لتفريغ شهوته. ولا يظهر شكري، ولاسيما في رواية الخبز الحافي، إلا طالبا للمتعة "وهو لا يلتمس عند المرأة سوى الشهوة البهيمية. ولذا، نراه ينتقل من واحدة إلى أخرى وراء شهواته أين من انتقلت

وحلت".[٧٢] وهذا التردد على سوق المتعة في مواخير المدن التي حل بها، ساعد على خلق هذه الصورة النمطية؛ فأصبحت الأنثى، عنده، وعاء لتفريغ الشهوة. فعند حديثه عن سالية، مثلا، يقول: "تتقاذف سالية الليالي بين فندق فاخر أو بائس حسب حظها، أو سكرها، وجيب الزبون.. كل ليلة قد يعلكها أكثر من واحد، في رفاه أو إفلاس، حتى نهاية حلاوتها".[٧٣] وقد يثور في لحظات تأمّل على واقع المرأة، فيصرح قائلا: أكره المرأة حيث تعتبر نفسها مثل سلعة".[٧٤] إن حالة التنميط التي أوجدها الاختزال الجسدي، جعل النساء كلّها بمستوى واحد من الشبه نفسيا في النظام الذكوري، فليس "هناك لون امرأة خير ولون أخرى شرير. لونهن واحد من الداخل ولو اختلفت الوان جلودهن".[٧٥] فهن، على وفق رأي صديقه حميد، لا تضفي عليهن الثقافة أي تغيير في نهجهن وعلاقاتهن الاجتماعية، إذ يقول عن فتيحة الشريفة: "تعرف ثلاث لغات أجنبية، لكن عقلها في فرجها مثل معظم النساء".[٧٦] وكل واحدة منهن تحاول الانتقام من الرجال إذ تعزو كل واحدة سبب فشلها إلى الرجل، فكلهن فاشلات في الحب.[٧٧] وهكذا خلقت المؤسسة الذكورية صورة للمرأة عن طريق الاختزال، إذ ساعد صمت المرأة وانكفاؤها على إطلاق العنان للذكر ليؤسس لها صورة تنطلق من تجربته الذاتية، ومن رؤيته التي يشعر من خلالها بتفوقه عليها.

النتائج

١- إن المشروع الذي تأسست عليه روايتا الخبز الحافي وزمن الأخطاء، كان قائما على كسر المحرمات التي أوجدها النظام الأبوي، والإعلان عنها؛ للكشف عن المخفي من حياة المجتمعات الفقيرة.

٢- لم يكن من أهداف شكري في الروايتين تحرير المرأة من هذا الواقع؛ ويعود السبب في ذلك لكون الروايتين هما نوع من السيرة الذاتية الكاشفة لحقبة عاشها المجتمع.

٣- لقد ظلت المرأة في النظام الأبوي (البطريركي) محض موضوع ارتبط عادة بالذاكرة الشبقية للمجتمع الذكوري.

٤- لقد اختزل الفعل الذكوري المرأة بالجسد الذي يثير شبقه، ومارس مع هذا الجسد المختزل كل أفعاله الذكورية المعبرة عن هيمنته المطلقة.

هوامش البحث

[١] - اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والانوثة، د. عيسى برهومة، ط١، دار الشروق، عمان ٢٠٠٢: ٣٧.

[٢] - انظر: ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبد الله محمد الغذامي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٨: ٦٠.

[٣] - انظر: اللغة والجنس: ٣١.

[٤] - الجنس الآخر، سيمون دوبوفوار، تر: د. سحر سعيد، ط١، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠١٥: ٢/ ٣١.

[٥] - انظر: جدل النسوية والذكورية، د. البشير عصام المراكشي، ط٦، مركز رواسخ، الكويت ٢٠٢٣: ٧٣.

[٦] - انظر: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدري، ط١، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٣: ٢٨٨- ٢٨٩.

[٧] - المصدر نفسه: ٢٧٣، وانظر: هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، د. عبد العالي معزوز، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٢: ١٤- ١٥.

[٨] - يمكن استثناء أمه من الوجود الشبقي؛ لأنها تظهر في الميادين ولاسيما في حي الطرنكات تبيع الخضار. انظر: الخبز الحافي: سيرة ذاتية روائية، محمد شكري، ط٦، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٠: ١٨،٢٩.

[٩] - انظر: الهيمنة الذكورية، بيار بورديو، تر: سلمان قعفراني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٩: ٥٥.

[١٠] - يقصد بالنوع هنا الجنس المتعارض: ذكر وأنثى، وليس النوع الاجتماعي (الجندر).

[١١] - انظر: النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب: ٨١- ٨٢.

[١٢] - المصدر نفسه: ٢٩.

[١٣] - انظر: لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، فراس السواح، ط٨، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق ٢٠٠٢: ٢٤، والنظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب: ١١٧- ١١٩، و الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة ٢٠١٧: ٢٥- ٢٦، واللغة والجنس: ٦١.

[١٤] - انظر: النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب: ٢٩.

[١٥] - انظر: المصدر نفسه: ١٤٢.

[١٦] - انظر: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، د. هشام شرابي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٣: ٦٠، وهشام شرابي ونقد النظام الأبوي: ١٢، ١٨.

[١٧] - انظر: المصدر نفسه: ١٠٩.

[١٨] - انظر: الخبز الحافي: ٥٣، ٩١، ٩٣.

[١٩] - المصدر نفسه: ٩٣.

[٢٠] - انظر: المصدر نفسه: ٣٢.

[٢١] - انظر: المصدر نفسه: ٣٣.

[٢٢] - المصدر نفسه: ١٢.

[٢٣] - انظر: زمن الأخطاء: سيرة ذاتية روائية، محمد شكري، ط٢، مطبعة النجاح الجديد، ١٩٩٢: ١١٧.

[٢٤] - الخبز الحافي: ١٢.

[٢٥] - انظر: المصدر نفسه: ٢٦- ٢٧.

[٢٦] - المصدر نفسه: ٢٩.

[٢٧] - انظر: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: ٥٠.

[٢٨] - انظر: زمن الأخطاء: ١٣٩- ١٤٠.

[٢٩] - المصدر نفسه: ١٤٠.

[٣٠] - المرأة واللغة، عبد الله محمد الغذامي، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٦: ١٢٥.

[٣١] - انظر: ذكورة اللغة الشارحة في كتابات علماء العربية القدماء، د. محمد احمد ابو عيد، المجلة الاردنية في اللغة العربية وآدابها، مج١، كانون الثاني ٢٠١٠: ٢٤٢ .

[٣٢] - انظر: هشام الشرابي ونقد النظام الأبوي: ١٠.

[٣٣] - الشورى: ١١.

[٣٤] - الكتاب: كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨: ١/ ٢٢.

[٣٥] - المصدر نفسه: ٣/ ٢٦٨.

[٣٦] - انظر: اللغة واختلاف الجنسين، د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٦: ٥٩.

[٣٧] - المذكر والمؤنث، أبو بكر بن الأنباري، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ورمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة ١٩٩٩: ٢/ ٢٧٨، وانظر: ذكورة اللغة الشارحة في كتابات علماء العربية: ٢٣٥.

[٣٨] - انظر: المخصص، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر ١٣١٦هـ: ١٧/ ١٥.

[٣٩] - الخبز الحافي: ٣٢.

[٤٠] - زمن الأخطاء: ١٢٠، وللاستزادة انظر: المصدر نفسه: ٢١.

[٤١] - اللغة واختلاف الجنسين: ٩٥.

[٤٢] - انظر: اللغة والجنس: ٣٥.

[٤٣] - إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: السيد احمد صقر، دار المعارف بمصر: ٢٥٣.

[٤٤] - ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت: ٩٣.

[٤٥] - انظر: فحولة الشعراء ،عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: ش.تورّي، قدم لها: صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١: ١١.

[٤٦] - الخبز الحافي: ٢٧.

[٤٧] - المصدر نفسه: ٤٤.

[٤٨] - المرأة واللغة: ٢٠٣.

[٤٩] - انظر: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١: ٣/ ١٥٨.

[٥٠] - ثقافة الوهم: ٧٦.

[٥١] - انظر: الهيمنة الذكورية: ١٠٣.

[٥٢] - انظر: ثقافة الوهم: ٥١، واللغة والجنس: ١٠٥.

[٥٣] - انظر: الخبز الحافي: ١١٠.

[٥٤] - المصدر نفسه: ٣٥.

[٥٥] - المصدر نفسه: ٦٥.

[٥٦] - انظر: زمن الأخطاء: ١٢٥.

[٥٧] - يذكر ابن القيم أن حور العين قد " طهرن من الحيض والبول والنجو وكل أذى يكون في نساء الدنيا". روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، تح: محمد عزيز شمس، ط١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٣١ هـ: ٣٤٨.

[٥٨] - الهيمنة الذكورية: ٤١.

[٥٩] - انظر: المصدر نفسه: ٤٢.

[٦٠] - زمن الأخطاء: ٧٢.

[٦١] - انظر: الخبز الحافي: ٥٥- ٥٦.

[٦٢] - يروي شكري تجربته الأولى في الفعل الجنسي مع معلمة محترفة. انظر: المصدر نفسه: ٤٢- ٤٥.

[٦٣] - انظر: المصدر نفسه: ٤٦.

[٦٤] - المصدر نفسه: ٤٨.

[٦٥] - المصدر نفسه: ٤٩.

[٦٦] - انظر: زمن الأخطاء: ١٨٨.

[٦٧] - الهيمنة الذكورية: ٢٧.

[٦٨] - انظر: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب: ٣٨٠.

[٦٩] - جدل النسوية والذكورية: ٨٤.

[٧٠] - الخبز الحافي: ١٥٦.

[٧١] - المرأة واللغة: ٣٥.

[٧٢] - النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب: ٢٧٩.

[٧٣] - زمن الأخطاء: ٢٨٤.

[٧٤] - الخبز الحافي: ١٦٨.

[٧٥] - انظر: زمن الأخطاء: ٦٢.

[٧٦] - الخبز الحافي: ١٨١.

[٧٧] - انظر: زمن الأخطاء: ٦٢.

المصادر

- القرآن الكريم.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: السيد احمد صقر، دار المعارف بمصر
- الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة 2017.
- ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبد الله محمد الغذامي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1998.
- جدل النسوية والذكورية، د. البشير عصام المراكشي، ط6، مركز رواسخ، الكويت 2023.
- الجنس الآخر، سيمون دوبوفوار، تر: د. سحر سعيد، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق 2015.
- الخبز الحافي: سيرة ذاتية روائية، محمد شكري، ط6، دار الساقي، بيروت 2000.
- ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت.
- رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت 1991.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، تح: محمد عزيز شمس، ط1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة 1431 هـ.
- زمن الأخطاء: سيرة ذاتية روائية، محمد شكري، ط2، مطبعة النجاح الجديد، 1992.
- فحولة الشعراء ،عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: ش.تورّي، قدم لها: صلاح الدين المنجد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت 1971.
- الكتاب: كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة 1988.
- اللغة واختلاف الجنسين، د. أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، القاهرة 1996.
- اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والانوثة، د. عيسى برهومة، ط1، دار الشروق، عمان 2002.

- لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، فراس السواح، ط8، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق 2002.
- المخصص، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر 1316هـ.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر بن الأنباري، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ورمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة 1999.
- المرأة واللغة، عبد الله محمد الغذامي، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت 2006.
- النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدري، ط1، دار الساقي، بيروت 2003.
- النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، د. هشام شرابي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1993.
- هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، د. عبد العالي معزوز، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2012.
- الهيمنة الذكورية، بيار بورديو، تر: سلمان قعفراني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2009.

المجلات والدوريات

- ذكورة اللغة الشارحة في كتابات علماء العربية القدماء، د. محمد احمد ابو عيد، المجلة الاردنية في اللغة العربية وآدابها، مج1، كانون الثاني 2010.